# الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ربما لا يبالغ المرء عندما يعتبر أن هذه الآية الكريمة تكشف عن الإطار العام الموجِّه للنظرة التي ينبغي أن تتشكل النظرة إلى الإنسان على ضوئها وتهتدي بهديها. فالإنسان وفق هذه الرؤية هو المخلوق الوحيد المرشح للتشرف بمنصب الخلافة لله سبحانه. وعلى ضوء هذه الآية التي تعد من المحكمات رغم بعض الاختلاف في فهمها وتفسيرها، يجب أن تفسر كل النصوص الإسلامية القرآنية وغير القرآنية، سواء كانت تمجد الإنسان وتعلي شأنه أم تحط من شأنه وتهبط به إلى درجات أدنى مما يرغب الإنسان أن يكون. وقد بدأ المفسرون مع بدايات مشوار علم التفسير اكتشاف دلالات الآية على التكريم الإلهي للإنسان، فهذا هو الفخر الرازي يقول في تفسير الآية: «اعلم أنّ هذه الآية دالّة على كيفيّة خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه، فيكون ذلك إنعاماً عاماً على جميع بني آدم...» وأثار المفسرون تساؤلات عميقة حول المراد من المستخلف والمستخلَف، فهل الخليفة هو آدم عليه السلام أم النوع الإنساني؟ وهل المخلوف هو الله أم نوع آخر من المخلوقات التي كانت

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

تعمر الأرض وتفسد فيها وتسفك الدماء، على حد تعبير الملائكة؟

وعلى أي حال، إذا أردنا استكشاف النظرة القرآنية إلى الإنسان، فإننا نلحظ نظرة إليه تختلف عن النظرة إلى غيره من الموجودات التي خلقها الله تعالى على الأرض أو خارجها.

وإذا أردنا استنطاق الآية الشريفة وحدها فإننا نرى فيها نقاطا تستحق أن يتوقف عندها هي:

أهميّة خلق الله لهذا الكائن المسمى بالإنسان، فإنه سبحانه مع كثرة ما خلق لم يطرح موضوع الخلق على أحد من عباده الذين منّ عليهم بالإيجاد، ولم يطرح سوى خلق الإنسان وجعله في الأرض.

لم يرد الله سبحانه، بحسب الآية، اعتراض الملائكة أو تساؤلهم حول استخلاف الإنسان في الأرض، بل ربما يبدو من الآية إقراره لمنشأ تساؤل الملائكة، إلا أنه لا يرى سبحانه في سفك بعض البشر الدماء وإفسادهم في الأرض ما يحول دون تنفيذ ما عزم عليه.

ترتب مصلحة على خلق الإنسان هي أهم من المفاسد التي تلازم خلقه بالطريقة التي خلقه الله عليها. وهذه المصلحة هي التي تبرر خلقه سبحانه للإنسان رغم إفساده وسفكه الدماء.

شعور الملائكة بمنافسة هذا المخلوق الجديد لهم، وقد يستفاد هذا المعنى من خلال ذكر الملائكة فضيلة التسبيح والتقديس، وهما الفضيلتان اللتان يمتاز بهما الملائكة، وكأن الله بعد رده اعتراض الملائكة يريد أن يقول إن تسبيحكم وتقديسكم لا يعطيكم أفضلية على هذا المخلوق الجديد، ولا تفوقا عليه.

إن الأرض وما عليها مسخرة لخدمة المخلوق الجديد، وما بعد هذا التفويض والتسخير من كرامة.

هذا غيض من فيض ما يمكن استكشافه من الآية، وربما يساعد التدقيق في مطاويها اكتشاف الكثير من الدلالات التي يتسع لها المجال. ومن هنا ننتقل إلى البحث حول نظرة القرآن إلى الإنسان واكتشاف أهم العناصر التي تميّز الإنسان بحسب الرؤية القرآنية.

## النظـــرة القرآنيـــة إلى الإنســـــان:

يكشف القرآن الكريم عن مجموعة من العناصر التي تشكل نظرته إلى الإنسان لا تتوفر في غيره من المخلوقات.

### أ- الحريـــة:

يتميـز الإنسان بالقياس إلى غيره مـن المخلوقات بالحرية التي هي الأساس في تشريف الإنســان والحط مـن كرامته على حد سواء، فالله سبحانه خلق الإنســان وأراد له أن يكون حـراً على مستـوى التشريع حيث لم يقبل لهـذا المخلوق أن يكون متدينـاً بالإكراه والإجبار فقـال سبحانـه: ﴿**لاَ إِكْـرَاهَ فِي الدِّينِ قَـد تَّبَيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾، بـل يحكي الله لنا عن امتيـاز للإنسان شرّفه بأهلية الاستعداد لتحمُّل الأمانة التـي نأت سائر المخلوقات بنفسها عـن حملها؛ حيث يقول سبحانه: ﴿**إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمَانَـةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾.

### ب- التكريـم الذاتـي:

يتمتّـع الإنسان بكرامة ذاتيّـة مستمدّة من أصل الخلقة الإلهيّة له، وليست هذه الكرامة اعتبارية أو مستمدة من القوانين، بل القوانين والتشريعات الإلهية والبشرية يجب أن تتأسس وفـق التكريم الإلهـي للإنسان في عالم التكوين، وذلك لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَـدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُـمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّـنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّـلْنَاهُمْ عَلَى كَثِـيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾.

### ج- تسخير سائر المخلوقات له

لم يبخل الله على الإنسان بعد أن خلقه وشرّفه، بل أفاض عليه نعمه كافة وجعل الأرض ومـا عليها في خدمتـه تسهيلا لمعيشته وتيسـيراً لسبل تكامله، فقال سبحانـه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، وقال: ﴿**وَسَـخَّرَ لَكُمُ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَـخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾، وقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَـخَّرَ لَكُم مَّـا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْـرِي فِي الْبَحْـرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِـكُ السَّـمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِـهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيـمٌ**﴾. إلى غير ذلك مما يحفل به القرآن من مؤشرات على تمييز الإنسان على غيره من المخلوقات.

وعلى ضوء ما تقدم نخلص إلى ضرورة أن تكون هذه القواعد العامة الموجهة لحركة التكوين قواعد موجهة لحركة التشريع والتقنين، وبالتالي يمكن الجزم بأن كل ما يحط من كرامة الإنسان يقع في الخط المقابل للدين بعامة وللإسلام على وجه التحديد.

وفي محاولة من مجلة المحجة لتظهير هذه العلاقة الحميمة بين الإنسان والدين، يأتي هذا العدد الذي يحتوي على عدد من المقالات تعالج موقع الإنسان في نظام التوحيد الإسلامي، كما في نظام التشريع. واحتوى العدد على مجموعة من المداخلات التي ألقيت في ندوة فكرية خصصت لمناقشة المشروع الفكري للدكتور حسن حنفي، وأخيرا ختمنا العدد بمقالة في باب الدراسات حول المنهج الفلسفي الذي اختط أبو البركات البغدادي أسسه ومعالمه. تأمل هيئة المجلة أن يكون في هذا العدد إضافة إلى الفكر الإسلامي والإنساني، أو على الأقل فتحاً لباب النقاش في هذه الموضوعات التي عالجناها. وعلى الله قصد السبيل.

محمد حسن زراقط